بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد؛

في هذه النسمة الإيمانية وقيمة والقيمة الأخلاقية، أطرق أمرًا وهو أن هناك ما يمنع من نسمات الإيمان، أو يقلل منها أو يقلل من القيم الأخلاقية ويبعد عنها، فالإنسان يعيش في دنيا تغرُّه ويحبها جميلة المنظر لذيذة المذاق، يتنافس لتحصيلها المتنافسون، وقد يتقاتل من أجلها الناس، فهذه الدنيا بذاتها ليست مذمومة ولكن المذموم تقديم الناس لها على الآخرة، المذموم في هذه الدنيا أن يجعل الإنسان الدنيا مقصده فلا يبالي للوصول إليها أمن حرام أو من حلال أو من شيء مضر ومفسد أو غير ذلك غايته الوصول إلى هذه الدنيا مهما كان الثمن، فهذا هو الشيء المذموم، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن حقيقة هذه الدنيا فقال: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد]، وقد أخبر نبي ﷺ أن الإنسان قديفتتن بهذه الدنيا فيبيع دينه من أجل عرض تافه فقال: « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا »[1]،

(١) رواه مسلم (١١٨).

وسأذكر لكم قصة قصيرة لعل بعضكم يسمعها لأول مرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: ذكر النبي ﷺ الدنيا فقال: « إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ -خضرة في المنظر وحلوة في المذاق أي المذاق القلبي أن الإنسان يحبها- فَاتَّقُوهَا -أي لا تفتنكم- وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، ثُمَّ ذَكَرَ نِسْوَةً ثَلَاثًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ تُعْرَفَانِ، وَامْرَأَةً قَصِيرَةً لَا تُعْرَفُ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ -حتى تكون طويلة- وصاغت خاتمًا من ذهب، فحشته من أطيب الطيب وهو المسك فإذا مرت بملأ حركته وقال في صبعها أو بإصبعها هكذا حتى تظهر رائحة هذا المسك فيلتفت إليها »[2]، وفي رواية قال النبي ﷺ في هذه القصة: « أَوَّلَ مَا هَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّ امْرَأَةَ الْفَقِيرِ كَانَتْ تُكَلِّفُهُ مِنَ الثِّيَابِ أَوِ الصِّيغِ، مَا تُكَلِّفُ امْرَأَةُ الْغَنِيِّ -ثم ذكر قصة النساء الثلاثة ومنهن تلك المرأة القصيرة التي لا تعرف فاتخذت ساقين من خشب حتى تكون طويلة وأخذت خاتمًا من ذهب- وحشته مِسْكًا، فأصبحت تمرُّ بين الناس ولا يعرفونها من هذه المرأة الطويلة فبعثوا إليها يتتبعونها ولا يعرفون من هذه المرأة »[3].

هذه القصة القصيرة المفيدة نستفيد منها بعض الفوائد المهمة:

الفائدة الأولى: أن يحذر الإنسان أن تغره الدنيا، فيفتتن بها فيبيع دينه أو يبيع وطنه أو يبيع مبادئه أو يبيع أخلاقه أو يبيع أهله من أجل هذه الدنيا، وقد حصل فتقاتل الإخوان من أجلها وسفكت الدماء لتحصيلها، وتخاصم الرجل مع زوجته من أجل متاع فانٍ، وتقاتل الأبناء مع أبيهم من أجل المال، ثم تقاتل الإخوة من أجل الميراث، وهكذا تنافس مذموم على هذه الدنيا.

(٢) رواه أحمد (١١٣٦٤).
(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد (٤٨٧).

الفائدة الثانية: تحذير الفقراء من مجاراة الأغنياء في ملبسهم ومركبهم ومشربهم وأفراحهم وحياتهم؛ لأن الفقير الذي عنده دخل محدود إذا حاول أن يصل إلى حياة الأغنياء أصحاب الدخل المفتوح أو الواسع سيترتب عليه هلاك هذا الفقير بالديون أو قد يأخذ المال من غير مكانه الصحيح وغير ذلك حتى يصل وينافس الأغنياء، ثم في النهاية قد ينكسر ظهره، ونحن نقول مد رجلك على قد لحافك.

الفائدة الثالثة: القناعة، الإنسان القنوع يرضى بما عنده وهذه من النعم العظيمة إذا أعطيها الإنسان فقد أعطى صفة جميلة، وقد قال النبي ﷺ: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ »[4]، فالقناعة كنز عظيم إذا اتصف به الإنسان كان مرتاح القلب سعيدًا بما يملكه راضيًا بما أعطاه الله سبحانه وتعالى، وهذه القصة بينت أن المرأة التي خلقت قصيرة لم تكن قنوعة بما عندها، فحاولت أن تدبِّر حيلة لتصل إلى إرضاء الناس، ويرى أنها امرأة طويلة لا مثلها في النساء، فعدم القناعة يفتح للإنسان أبواب يسعى فيها لتحصيل ما هو غير محمود حتى قد يسوق نفسه إلى هلاك نفسه.

الفائدة الرابعة: الخطر من التمادي في الزينة غير المشروعة، والتجمل فيما يوقع المرأة في محظور، بعض النساء لعدم القناعة أو لتأثر بقوة الإعلام والإعلانات أو لتأثير الصديقات والصاحبات تريد أن تغيِّر من جمالها وشكلها وصورتها، وتريد أن تكون كل مرة على صورة جديدة وعلى شكل غير الشكل الأولي، فانفتح على بعض النساء باب التجميل بصورة مخلة جدًا، تلك المرأة كانت التجميل عندها غير متطور، أما اليوم وسائل التجميل تطورت بصورة كبيرة جدًّا، منه تشدُّ الوجه وتنفيخ الشفة وأشياء غريبة وعجيبة يفعلها بعض النساء هي ليست لحاجة، وليست لضرورة وهي مخالفة للشرع ومخالفة للعقل السليم،

(٤) رواه مسلم (١٠٥٤).

فهذه العمليات التجميلية بهذه الصورة المخلّة فيها عدة محاذير:

المحذور الأول: أنها من عمل الشيطان، والشيطان يؤز بني آدم ليغير خلقة الله، كما قال الله سبحانه وتعالى لما قال الشيطان: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨- ١١٩]، فهذا من وحي الشيطان وزخرفه.

المحذور الثاني: في هذه العمليات التجميلة المخالفة للشرع مخالفة لسنة النبي ﷺ لأن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ الْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ».

المحذور الثالث: في هذه العمليات التجميلية المخلّة وعيد النبي ﷺ باللعن، فإذا كانت النامصة والواصلة تعتبر من ما غير خلق الله ووعدها النبي ﷺ بهذا الوعيد وهو اللعن، فمن باب أولى هذه الصور التجميلية المحظورة التي يفعلها بعض النساء.

المحذور الرابع: أن في هذه العمليات التجميلية بهذه الصورة المخلة والتي لغير ضرورة فيها ضرر على الجسد وعلى الصحة، والنبي ﷺ قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»(٥).

المحذور الخامس: الإسراف فإن المرأة تدفع مبالغ تلو المبالغ هي تسترخص الأمر في أوله بسبب العرض المغري للجلسات إذ الجلسة التجميلية بألف درهم ولكن جلسة وراء جلسة وجلسة بعد جلسة وامرأة وراء امرأة فتستنزف أموالها من أجل أن تحسن وجهها بهذه العمليات الغير جائزة.

(٥) رواه ابن ماجه (٢٣٤١).

المحذور السادس: أن بعض النساء دخلن في خلافات زوجية بينها وبين زوجها بسبب مثل هذه العمليات التجميلية إما أنها أرهقته بالمال، وإما أنها فعلت ذلك بغير رضاه.

المحذور السابع: أن هذه العمليات التجميلية بدايتها قد يكون جميلًا لكن تؤول إلى عدم الجمال.

الفائدة الخامسة من الحديث: أن الإنسان يسعى إلى جمال الباطن بالإيمان الصحيح والأخلاق الحميدة ويجمل ظاهره بالأقوال الطيبة والأفعال الحميدة، ولا بأس أن يجمل مظهره وملبسه وثيابه بما يجوز شرعًا، فإن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسن وهذا لا بأس به، والمرأة تحب أن تكون في مظهر جميل وهذا لا بأس فيه في حدود الضوابط الشرعية لكن لا يكن هم الإنسان مظهره الشكلي الذي يترتب عليه باطنه ومظهره الحقيقي، والجمال -حفظكم الله- مهما طال سينتهي، جمال الشكل جمال الصورة جمال الجسد الشباب الذي يكون في الإنسان مهما طال عمر الإنسان فإنه سينتهي، ومهما حاول تجميله فإنه لن يدوم معه إنما الجمال الحقيقي الذي يدوم مع الإنسان هو جمال أخلاقه جمال أفعاله جمال أقواله حتى بعد مماته تبقى هذه الصورة الحسنة في قلوب الناس.

يعود المرء بعد الموت ذكرا
فكن حسن الحديث إذا ذكرت

هذه تذكرة قصيرة وفائدة خفيفة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا بحفظه، وأن يجعلنا من البارين المطيعين التائبين الراجعين إليه سبحانه وتعالى، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ أوطاننا ويحفظ وإخواننا وشعبنا ومجتمعاتنا وولاة أمرنا، وصلى الله على نبيّنا محمد.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

أيمن مرو

كانت أول أسباب هلاك أمة

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن سالم الزروعي